والطريقة : الحالة والسنة والرأي . والمراد هنا الرأي وتقدم في قوله (ويذهبا بطريقتكم المثلى) في هذه السورة ولم يأت المفسرون في معنى وصف القائل (إن لبثتم إلا يوما) بأنه أمثل طريقة بوجه تطمئن له النفس .

والذي أراه : أنه يحتمل الحقيقة والمجاز ؛ فإن سلكنا به مسلك الحمل على الحقيقة كان المعنى أنه أقربهم إلى اختلاق الاعتذار عن خطئهم في إنكارهم البعث بأنهم ظنوا البعث واقعا بعد طول المكث في الأرض طولا تتلاشى فيه أجزاء الأجسام فلما وجدوا أجسادهم كاملة مثل ما كانوا في الدنيا قال بعضهم (إن لبثتم إلا عشرا) . فكان ذلك القول عذرا لأن عشر الليالي تتغير في مثلها الأجسام . فكان الذي قال (إن لبثتم إلا يوما) أقرب إلى رواج الاعتذار . فالمراد : أنه الأمثل من بينهم في المعاذير وليس المراد أنه مصيب .

وإن سلكنا به مسلك المجاز فهو تهكم بالقائل في سوء تقديره من لبثهم في القبور فلما كان كلا التقديرين متوغلا في الغلط مؤذنا بجهل القدرين واستفهام الأمر عليهم دالا على الجهل بعظيم قدرة ا تعالى الذي قضى الأزمان الطويلة والأمم العظيمة وأعادهم بعد القرون الغابرة . فكان الذي قدر زمن المكث في القبور بأقل قدر أو غل في الغلط فعبر عنه ب (أمثلهم طريقة) تهكما به وبهم معا إذ استوى الجميع في الخطأ .

وجملة (نحن أعلم بما يقولون) معترضة بين فعل (يتخافتون) وظرفية (إذ يقول أمثلهم) أي أنهم يقولون ذلك سرا ونحن أعلم به وأننا نخبر عن قولهم يومئذ خبر العليم الصادق .

(ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا [105] فيذرها قاعا صفصفا [106] لا ترى فيها عوجا ولا أمتا [107]) E A لما جرى ذكر البعث ووصف ما سينكشف للذين أنكروه من خطئهم في شبهتهم بتعذر إعادة الأجسام بعد تفرق أجزائها ذكرت أيضا شبهة من شبهاتهم كانوا يسألون بها النبي A سؤال تعنت لا سؤال استهداء فكانوا يحيلون انقضاء هذا العالم ويقولون : فأين تكون هذه الجبال التي نراها . وروي أن رجلا من ثقيف سأل النبي A عن ذلك وهم أهل جبال لأن موطنهم الطائف وفيه جبل كرى . وسواء كان سؤالهم استهزاء أم استرشادا . فقد أنبأهم ا بمصير الجبال إبطالا لشبهتهم وتعلما للمؤمنين . قال القرطبي : جاء هنا أي قوله (فقل ينسفها) بفاء وكل سؤال في القرآن (قل) " أي كل جواب في لفظ منه مادة سؤال " بغير فاء إلا هذا لأن المعنى إن سألوك عن الجبال فقل فتضمن الكلام معنى الشرط وقد علم أنهم يسألونه عنها فأجابهم قبل السؤال . وتلك أسئلة تقدمت سألوا عنها النبي A فجاء الجواب عقب السؤال ه .

وأكد (ينسفها نسفا) لإثبات أنه حقيقة لا استعارة . فتقدير الكلام : ونحشر المجرمين يومئذ رزقا... إلى آخره وننسف الجبال نسفا فقل ذلك للذين يسألونك عن الجبال .

والنسف : تفريق وإذراء وتقدم آنفا .

والقاع : الأرض السهلة .

والصفصف : الأرض المستوية التي لا نتوء فيها .

ومعنى (يذرها قاعا صفصفا) أنها تندك في مواضعها وتسوى مع الأرض حتى تصير في مستوى أرضها وذلك يحصل بزلزال أو نحوه قال تعالى (إذا رجت الأرض رجا وبست الجبال بسا فكانت هباء منبثا) . وجملة (لا ترى فيها عوجا ولا أمتا) حال مؤكدة لمعنى (قاعا صفصفا) لزيادة تصوير حالة فيزيد تهويلها والخطاب في (لا ترى فيها عوجا) لغير معين يخاطب به الرسول A سائليه